الحي

من أسماء الله الحُسنى الحي القيوم .

الحي : اسمٌ من أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن الكريم ، والتي وردت في حديث رسول الله ﷺ ، ولا بد من أن نذكر القارىء الكريم بقول النبي ﷺ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِئَةً إلا وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

ماذا تعني كلمة الحي ؟ . . ماذا تعني كلمة القيوم ؟ . . وهكذا بقية الأسماء الحسنى .

فأن تتعرف إلى أسماء الله الحُسنى فهذا يؤلف أكبر جزء من عقيدة المسلم ، فلا يكفي أن تقول الله خلق السموات والأرض ، هذا الإيمان يستوي فيه الناس جميعاً على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، بل إن المقصرين ، بل إن الكافرين ، بل إن عباد الأوثان ، بل إن إبليس ، اعترف أن الله خلق السموات والأرض ، ولكن التفاضل بين المؤمنين في معرفة أسماء الله الحُسنى ؛ معانيها ومضامينها .

ضربت هذا المثل لأنتقل منه إلى حقيقة هي أن الذي يقول إن الله

خلق السموات والأرض ، هذا الإيمان لا يكفي كي تستقيم على أمر الله فحجم الإيمان قد يكون أقل من قوة الشهوة .

لذلك يقع الإنسان في المعصية ، لكن كلما زاد إيمان الإنسان بوجود الله ، وأنه هو الفعال وبيده كل شيء ، وهو الكامل وهو الواحد ، والمصير كله إليه ، وكل شيء بيده ، هذا الإيمان كبر حجمه ، وأصبح أكبر من شهوات الإنسان ؛ لذلك تصعب الاستقامة على ضعيفي الإيمان ، وتهون على أقوياء الإيمان ، فقوي الإيمان يستقيم بلا جهد لأنه يرى عظمة الله عز وجل والله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وكلمة إنما دقيقة جداً ، فهي كلمة تفيد الحصْر ، مما يعني أن العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله ، إذاً ما من طريق إلى طاعة الله ، وإلى خشيته ، وإلى الاستقامة على أمره إلا أن تعرفه ، فكلما عرفته خشعت له ، كلما نمت معرفتك نمت استقامتك ، وكأن مؤشر الاستقامة يتحرك مع مؤشر العلم والمعرفة بشكل دائم .

الاسم هو : الحي القيوم ؛ الحياة نقيض الموت ، وشتان بين الحياة والموت ، شتان بين إنسان ملء السمع والبصر ، يتكلم ، يتحدث ، يبتسم يسأل ، يجيب يفكر ، يحاكم ، ينتقل ، يمشي ، يعمل ، وبين إنسان جثة هامدة ملقى على الطريق ، شتان بين الحياة والموت ، كما أن هناك فرقاً كبيراً بين الحياة والموت ، فهناك فرق كبير بين قلب حي بذكر الله ، وبين قلب ميت ، قال تعالى : .

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢١] .

قال تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] .

قال تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

آيات كثيرة تؤكد أن الذي لم يعرف الله عز وجل ميت ، وأن القلب يحيا بذكر الله :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد : ٢٨]

يحيا القلب بذكر الله ويطمئن بذكر الله ، والإنسان المعاصر يفقد شيئاً ثميناً جداً وهو الطمأنينة ، حوله كل شيء لكن يحيط به ألف خطر ، خطر السرطان ، ولا بد من فحص دوري ، وخطر بقيّة الأمراض ، وخطر الحوادث أيضاً ، لذلك تنمو شركات التأمين بنمو القلق في النفوس .

الإنسان من دون إله يعبده ، من دون إله ينيب إليه ، من دون إله يلجأ إليه ، من دون إله يحتمي به ، من دون إله يطمئنه ، حياته جحيم . . . أكبر ما فيها القلق ، الخوف من المجهول ، الخوف من أحداث مستقبلية تظهر فجأة ، متى يصاب بهذا المرض ؟ لا أحد يدري ، وكلما ابتعد الإنسان عن ربه امتلأ قلبه خوفاً .

سبعة وثمانون بالمئة من مواطني البلاد الغربية المتفوقة علمياً وحضارياً ، يخاف وهو في البيت ، ثمانون بالمئة لا يتجولون بعد غروب الشمس أبداً ، ثلاثة وثلاثون بالمئة يرون أن كل قوى السلطة

لا تحميهم ، حياة القلق ، حياة العذاب ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ [قريش : ٤] .

أطعمك من جوع وآمنك من خوف ، والأمن نعمة لا تعدلها نعمة لا يحوزها إلا المؤمن حصراً ، والدليل :

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨١-٨٢] .

للمؤمنين وحدهم ، لذلك إذا آمنت بالله ، واستقمت على أمره ، ولُذتَ بحماه وأويت إلى جنابه فأول ثمرة من ثمرات الإيمان أن الله يدخلك في رحمته ، ويطمئن قلبك . . فهناك أشخاص قلوبهم بأعلى درجة من النشاط أوردتهم شراييهم دماغهم أعصابهم ، ومع ذلك فهو يقول لك أجريتُ فحوصاً كاملة .

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، هذه السكينة خاصة بالمؤمنين ، إنكم لترَوْن في قلب المؤمن من السكينة ، والطمأنينة ، والرضا بقضاء الله وقدره ، والشوق إلى لقياه ، والراحة إلى قضائه ، ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم .

المؤمن سر ، الله عز وجل يضع سره في المؤمن ، ترى أن دخله أقل من حاجته ، وتراه مطمئناً ، وهناك من يخزن الذهب والعملات الصعبة وإذا حدث خطر فله ببلاد أخرى أرصدة ضخمة ، ومع كل هذه الأرصدة ومع كل هذه الإمكانات ، ومع كل هذه الاحتياطات ، فإن الخوف يأكل قلبه .

لو سألتني عن قانون الخوف ، أقول لك إنه الشرك ، قال تعالى :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥١].

الشرك يعني الخوف ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

فالله عز وجل حي ، والحي نقيض الميت ، الحياة نقيض الموت ، ورد في القرآن الكريم كلمة الحيوان وتعني جنس الحياة قال تعالى :

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

أصل الحياة في القرآن يعني الحيوان ، أي هو دار الحياة الدائمة ، حياتنا في الدنيا حياة مؤقتة ، كل إنسان له عمر ، فكل هؤلاء الذين على الأرض بعد مئتي عام لا ترى منهم أحداً ، فالخمسة آلاف مليون إنسان لا تجد بعد مئتي عام منهم أحداً في كل القارات الخمس .

قفْ في شرفة بناء وانظر إلى الشارع المزدحم بالسيارات والمشاة كل هؤلاء سيكونون تحت أطباق الثرى بعد حين ، وسوف يطويهم الموت ، فحياتنا حياة مؤقتة ، أما الحياة الحقيقية ، الحياة الأبدية الدائمة ، الحياة التي لا موت معها ، فهي حياة الدار الآخرة .

سمعت أن بعض الفنانين ، ما ركب طائرة في حياته ، خشية أن تقع فيموت ، اعتنى بنظام غذائه عناية تفوق حد الخيال ، يأكل يوماً سمكاً ويوماً دجاجاً ، طعامه لحم خفيف ، لحم أبيض ، ومساءً فواكه ، ومع كل هذه العناية والحرص ، وذلك الحذر فقد مات .

عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه .

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

حياتنا في الدنيا غير حقيقية ، حياة مجازية ، حياة مؤقتة ، لأنه يعقبها موت ، يعقبها زوال ، يعقبها عدم .

وبصراحة ، يكون إنسان ملء السمع والبصر ، متألقاً ، ذكياً ، قوياً غنياً سيد بيته ، أولاده أمامه متأدبون ، وزوجته خاضعة له ، فإذا مات.. حزن شديد ، بعد أسبوع ، يفك الحزن ، بعد أسبوعين يبتسمون ، ثلاثة أسابيع يُرفع الشّعار الأسود ، بعد شهرين أو ثلاثة وكأنه لم يكن ، يقولون إذا ذكِر : المرحوم ، لقد انتهى ، وكل واحد منا على هذا الطريق وكأنه لم يكن .

الحياة الحقيقية ، الحياة الخالية من كل نغص ، هل منا أحد ليس لديه منغصات ؟ هذه سنة الله في الحياة الدنيا : « **إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى** » .

استعرض حياة الناس.. زوجة جيدة ، لكن أولاد سيئون.. أو أولاد جيدون وزوجة سيئة ، أو زوجة جيدة أولاد جيدون لكن الدخل قليل ، أو دخل كثير ولكن عقم من دون أولاد.. أو دخل كثير وله أولاد لكن الصحة متردية ، والمرض يُنغّص حياته .

طبيعة الحياة الدنيا قائمة على المُنغِّصات ، لذلك حياتنا الدنيا

ليست حياةً أرادها الله لنا . . أرادها الله لنا ممراً ، أرادها الله لنا معبراً أرادها الله لنا مدرسةً ، أرادها الله لنا إعداداً ، ما أرادها الله لنا استقراراً ولا ركوناً ولا خلوداً .

فكل إنسان يتحرك حركةً خلاف تصميم الله عز وجل يشقى . . الحياة الدنيا حياة مفعمة بالمنغصات ، هكذا أرادها الله ، هكذا خلقت ، من أجل ألا تركن إليها ، من أجل أن تجعلها منطلقاً ومعبراً ، لذلك كان محمد بن كعب يقول : « **إن أشقى الناس فيها أرغبهم فيها ، وإن أزهد الناس فيها أسعد الناس بها هي العذبة لمن أطاعها والمهلكة لمن اتبعها** » . اتركها تأتك ، أقبل عليها تَفر منك .

حياك الله ، يعني أبقاك حياً ، لنستعرض ماذا تعني كلمة حياة ؛ أحيا الله الأرض ، أخرج منها النبات ، أحياها بالغيث أنزل عليها المطر ، الحي في صفة الله تعالى هو الباقي . . فإذا قلنا الله حي يعني حياةً دائمةً ، وإذا قلنا فلان حي حياته مؤقتة . . شيء قد يلفت النظر ، قد يشترك الإنسان في صفة مع خالقه ؛ الله حي والإنسان حي ، ولكن يجب أن يؤمن إيماناً يقينياً أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . . كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . . إذا قلت الله حي ، يعني حياة دائمة باقية ، هو الباقي ، فلان حي حياة مؤقتة .

النقطة الثانية ؛ الحي في صفة الله أنه باقٍ حياً بذاته ، أما أنت وأنا وكل واحد منا فهو حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد صار جثةً هامدة ، والواحد منا ألف سبب يسلبه حياته ويجعله خلال لحظة ميتاً . . ساعة سكتةٌ دماغية ، ساعة سكتة قلبية ، ساعة اضطراب بكهرباء القلب اختلف النظم ومات الإنسان ، فإذا انتابته نوبة

خفقان أذيني شديد يموت باسترخاء القلب ، مئة وثمانون ضربة وبعدها يرتخي القلب ثم يموت الإنسان .

فالله عز وجل حي بذاته ، حياته ليست مستمدة من جهة أخرى نحن حياتنا نستمدها منه ، عمر الإنسان بعمر شرايينه ، عمره متعلق بقلبه وشرايينه ودسامات قلبه ، متعلق بجهازه العصبي ، متعلق بعمل الدماغ ، متعلق بالكليتين.. لو أن البول احتبس في الكليتين ست ساعات لتوقفت الكليتان ، وإذا توقفت الكليتان ينتهي الإنسان ، لا يعيش الإنسان ثلاث ساعات دون كبد ، إذا تشمع تشمعاً كاملاً خلال ثلاث ساعات يموت الإنسان .

مرةً التقيت مع إنسان شديد الأذى للناس ، والأذى في طبعه ، قال بعض الشعراء في وصفه ، ووصف أمثاله من الناس :

ولو أخذنا لحقن الرقش من دمهم لكان مصلهم يؤذي الثعابينا

ويقول غيره :

رقيقٌ غليظُ القلب فظٌّ مقطَّبٌ كثيرُ الأذى بادي البذا جبلٌ وعرُ
نمومٌ زؤومٌ ماكرٌ غيرُ شاكرٍ حقودٌ نقودٌ مائنٌ خائنٌ غمرٌ
ذكيٌّ دقيقُ الفكرِ منتبهٌ لما عناهُ ولكنْ عندَ مصلحتي غرُّ
لئيمٌ متى أحسنْ إليهِ يكافني بسيئةٍ لم ينكتمْ عندَهُ سرُّ
ثقيلٌ خفيفُ الكفِّ فيما ائتمنْتهُ وَثوبٌ على مالي كما يثبُ النمرُ
لهُ كلَّ يومٍ فتنةٌ أو شكايةٌ وقالٌ وقيلٌ هكذا ينسلُ الكفرُ
لهُ نهمةٌ في الأكل والشربِ مالها شبيه سوى التنور أَكْلَبَهُ السجرُ

فمرة التقيت مع إنسان شعرت أنه يحب الأذى ، كلما أوقع الأذى

بإنسان شعر بنشوة ، أردت أن أعطه وأن أضيق عليه لعله يرعوي ، قلت له : إن الله من جنوده السرطان في كل أنحاء الجسم ، بدءًا من الجلد إلى الدم إلى العظام إلى الأحشاء ، إلى الدماغ . . والله من جنده تشمع كبد ، ومن جنده الفشل كلوي ، ومن جنده اضطراب النظم ، ذكرت له أمراضاً وبيلة ، كل مرض ينخلع القلب له ، وهؤلاء الذين أمامك كلهم عباده ، فإذا أسأت إليهم انتقم منك فانتبه .

المؤمن الصادق ، أي إنسان أمامه يراه عبداً لله ، دون أن تعرف من هو ، فإذا أردت أن تتقرب إلى الله فقدم لهذا الإنسان خدمةً ، والله وحده يجازيك . قال تعالى :

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

هذا الإله العظيم ، يقول لك أقرضني ، أقرضني بخدمة أحد عبادي أما الآن من ضعف الإيمان ، وانهماك الإنسان في جمع المال ، لا يتحرك بلا مال ولا يردّ لهفة ملهوف إلا بمال .

أحياناً الخدمة تكلفه هاتفاً ، يريد مالاً ، يتقاضاه مقابل هاتفه مثلاً ، وأحياناً الخدمة تكلفه بطاقة ، توصية كلمة ، أحياناً تكلفه غض بصر فقط ، ولكنه لا يرحمك ، لا يرحمك إلا بمبلغ فوق طاقتك ، تشعر بأنك ذبحت ، حتى يرحمك ، ليس له أجرٌ إطلاقاً ، لأنها خدمة بأجر .

اخدم العباد ، واحتسب هذا العمل عند رب العباد ، أعط العباد مما أعطاك الله ولا تخش لومة لائم ؛ أجل لا تخشَ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

حياتنا غير ذاتية ، حياتنا متوقفة على أجهزة كثيرة إذا توقف أحدها نموت . . فالإنسان عندما يكون مضطجعاً ويقف فجأة يضطرب جسمه بشكل لا يصدق ، يأتي أمر عن طريق شوارد معينة في الدم ، تضيق كل شرايين الجزء العلوي في الإنسان ، لأن الإنسان إذا كان نائماً ثم وقف فجأةً ، فالدم بحكم الجاذبية يهبط إلى الأسفل ، فما الذي يبقي الدم في الرأس . . لو أن الدم نقص في الرأس لأصيب الإنسان بالدوار ويقع . . إذا تقدم الإنسان في السن فإن نهض من السرير قد يصيبه الدوار لأن جهاز ضبط الوقوف بعد الاستلقاء ضعف قليلاً .

فأنا لا أعرف كم جهازٍ في الجسم إذا تعطل أحدها تصبح حياة الإنسان جحيماً لا تطاق ، حياتنا ليست من ذاتنا ، حياتنا متوقفة على إمداد الله لنا ، على حفظه لنا .

فيا ترى كم جهازاً إذا تعطل تصبح حياتنا جحيماً ، فليعلم كلّ منا أنّ حياتنا غير أصيلة في وُجودها ، وحياتنا ليست من ذواتنا ، أما في الجنة ، إذا أكرمنا الله في الجنة فحياة ما بعدها موت ولا يعروها مرض ، ولا يخامرها خوف ، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يضاعف سعادتنا في الجنة أضعافاً مضاعفة إذا تفضّل الله علينا بدخولها ، وإذا قبل منا عملنا ، وإذا عفا عنا . . فإذا سمح الله لمؤمن أن يدخل الجنة . . فالسعادة في الجنة أضعاف مضاعفة ، فما كان من أعراض تنتابه في الدنيا كالقلق والخوف والمرض والحزن والانحدار المريع نتيجة تقدّم السنّ ليس له وجود في الجنة إذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

إذا قلنا : إن الله حي أي متصف بالحياة الأبدية ، لا بداية لها

ولا نهاية لها ، هو الباقي أزلاً وأبداً ، والحي الذي لا يموت ، لأن الذي يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميِّت ، دقق باللغة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

الذي تنتهي حياته إلى الموت هو في حكم الميِّت ، أما إذا مات فعلاً فإنه يسمى مَيْت ، ميِّت أي سيموت ، وميْت مات فعلاً .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأنعام : ١٢٢]

فكل منا ميّت ، أي محكوم عليه بالموت مع وقف التنفيذ ، أما إذا قلنا فلان ميْت فالمعنى أنه مات حقيقةً ، ونحن إذا قلنا عن أنفسنا أحياء ، حياتنا مزورة ، لأننا ميّتون بأمر الله ، ميتون بقضاء الله ، ميتون بأصل وجودنا على وجه الأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ .

الحي هو دائم الحياة ، له البقاء المطلق ، الإنسان مهما عاش لابد من أن يموت ، فحياته مقيّدة بعمره ، أما من له البقاء المطلق فهو الله عز وجل ، كلمة مطلق كبيرة جداً ، ومدلولها واسع .

لذلك فالإنسان العاقل يربط مصيره مع الله ، ولا يعتنق إلا مبدأ الله ولا ينضم إلا إلى أهل الله ، ولا يتحرك إلا وفق الحق ، لأن الحق هو الله ، وإذا استقام على أمر الله ، فالله هو الحافظ ، وإذا كان في ظل الله فالله هو الذي يؤيده وينصره ،فكل إنسان ربط مصيره مع الله فهو السعيد حقًّا ، هو الذي يتفوق ويفوز .

قلت في الحديث عن معنى كلمة الحي : الحي هو دائم الحياة الذي له البقاء المطلق ، فأقول :

هو الذي لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء ، أيّ إنسان بالتاريخ القريب والبعيد ربط مصيره بإنسان ، فلما وقع هذا الإنسان وقع معه ولما انهار انهارَ معه ، فمغامرة ومقامرة ، أن تربط مصيرك بمصير مخلوق يموت ، أما بطولتك وذكاؤك وتفوقك ونجاحك في الحياة فهي أن تربط مصيرك بالحي الذي لا يموت ، فكل إنسان لو مات إنسان وكان مع الحي الذي لا يموت فهو لمْ يمُتْ . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

[آل عمران : ١٦٩]

أنا لا أنسى في السيرة موقف النبي عليه الصلاة والسلام لما خاطب قتلى بدر من الكفار ، خاطبهم بأسمائهم واحداً واحداً ، يا فلان يا فلان يا فلان : عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : أَنَّ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك قَتلَى بدر ثلاثا ، ثم أتاهم ، فقام عليهم ، فناداهم ، فقال : يا أبا جهل بن هشام ، يا أميَّةَ بن خَلَف ، يا عُتبةَ بن ربيعةَ ، يا شَيبة بن ربيعة ، أَليسَ قَد وجدتُم ما وعدَ ربكم حقّا ، فَإني قد وجدتُ ما وَعَدني ربّي حقًّا ؟ فسمَعَ عمرُ بن الخطَّاب قولَ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال : يا رسولَ الله ، كيف يَسمعونَ ؟ أو أنَّى يجيبون ، وقد جَيّفُوا ؟ قال : والذي نَفسي بيدِه ، ما أَنتم بأسمع لما أقولُ منهم ، ولكنهم لا يَقْدرُونَ أن يُجيبوا ، ثم أَمر بهم فسُحِبوا ، فأُلقوا في قَليب بدر . [أخرجه مسلم] .

هم يسمعوني كما تسمعوني أنتم ، فالحياة دائمة ، والموت عبارة

عن ثوب خلعته فقط ، أنت أنت ، مشاعرك ثقافتك ، ذكرياتك ، إقبالك معرفتك بالله هي هي ، إلا أن الثوب الذي تلبسه نزع عنك وصار هناك ثوب آخر ، لذلك خط المؤمن البياني صاعد حتى عند الموت يبقى صاعداً ، وما الموت إلا نقطة على الخط الصاعد .

بصراحة أقول لكم : الزمن ليس في مصلحة الكافر ، بل هو في مصلحة المؤمن ، فالكافر وضع كل البيض في سلة واحدة ، كل أهدافه في الدنيا ، كل سعادته في المال والشهوات والنساء والسهرات والحفلات ، كل إنجازه مادي ، فكلما تقدم به الزمن ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة ، فحركة الزمن ليست في صالح الكافر ، لأن مضي الزمن أولاً يضعف قدرته على المتعة ، يضعف قدرته على الاستمتاع بالحياة الدنيا ، بالطيبات بالطعام بالشراب بالنساء ، لذلك عنده قلق عميق يخشى الموت ، يخشى ما يرتبط بالموت ، يكره القرآن لأنه يُقرأ على الأموات ، يكره بعض النباتات لأنها توضع على القبور .

أغرب شيء كنت مرةً في لبنان وجدت محلاً ضخماً يبيع لوازم الموتى ، لا أحد يرغب بأن يدخل لهذا المكان ، إلا التجار الذين يتعاملون مع هذه المواد ـ طبعاً ـ .

فالموت لغير المؤمن مخيف جداً ، نهاية حتمية ، أما المؤمن فمضي الزمن لصالحه ، فكلما امتد به العمر قربه من سعادته المطلقة ، كلما امتد به العمر قربه من لقاء الله عز وجل ، كلما امتد به العمر قربه من عرسه ، وكلما امتد به العمر قربه من تحفته التي هي الموت .

ما قولك في أنّ بعض الناس ينخلع قلبه من ذكر الموت ؟ على حين أن بعضهم يتمنى لقاء الله عز وجل ؟! تصور أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خيّره جبريل بين أن يبقى حيًّا في الدنيا وأن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، قال : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، ماذا رأى النبي ﷺ ؟ فعندما تكون حياة الإنسان استقامة وعطاء وخدمة للناس والتزاماً بالشرع وورعاً ، وهو يحيا ليرضي الله عز وجل فالموت عند هذا جزء من سعادته العظمى ، لذلك هؤلاء الذين يأتيهم الموت وهم على طهارة يأتيهم بأحب الناس إليهم على الإطلاق ، وموتهم نوع من السعادة ؛ لذلك قال الله عز وجل :

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

سلام.. إذا دعيَ شخص إلى وليمة وكان ضيف الشرف الأول ، فإنك ترى حُسْنَ الاستقبال ، والترحيب ، الابتسامة الحارة : يا أهلاً ويا سهلاً ، نورتم ، نحن على شوق لهذا اللقاء ، المكان واسع لائق ، والماء البارد ، وأطباق الطعام فاخرة ؛ فهذه صورة لتكريم إنسان لإنسان الدنيا ، فكيف إذا كرَّمك خالق الأكوان ؟! وشتّان بين تكريم زائل ، وتكريم باقٍ أبداً .

لذلك قال تعالى :

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦] .

الزيادة رؤية وجه الله الكريم ، ورد في الأثر أن المؤمن ينظر إلى وجه الله الكريم فيغيب خمسين ألف عام من نشوة النظرة !! قال

تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ـ٢٣] .

وأكبر عقاب لأهل الكفر الحجاب ، قال تعالى :

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] .

محجوب عن الله عز وجل .

قال بعض العلماء : « **الحي هو الموجود** » .

وقال بعضهم : « **الحي هو الباقي من أزل الأزل إلى أبد الأبد** » ، وأنت معه والأزل هو عمق الوجود ودوامه في الماضي ، والأبد هو دوام الوجود وبقاؤه في المستقبل .

وقيل : الحي الذي ليس لحياته زوال والذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٨٨] .

وعالم جليل يُعرّف الحي : « **بأنه الفعال الذي لا يموت** » ، فالحي الكامل المطلق وهو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه .

الفعَّال ؛ الدَّرَّاك ، والدراك صيغة مبالغة من الإدراك ، يعني أن علمه مطلق ، وفعله مطلق ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

أحياناً مدير دائرة تمر عليه ألف قضية من وراء ظهره ، بذكاء . تمرُّ من تحته ، لا يشعر ، ليس عنده إمكانية أن يعرف ما يجري بغير الغرفة التي هو فيها ، تأتيه معلومات ، من داوم ومن لم يداوم ، يتفق

موظف مع مراقب الدوام ، يسجله موجوداً في حين أنه مسافر ، فأحياناً تجد إنساناً على أعلى درجة من الذكاء وتمر عليه ألف قضية دون أن يعلم .

أحد العلماء يقول : الحي ؛ هو الفعال ، الدَّرَّاك ، يعني على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، يعني قدرته متعلقة بكل ممكن ، وعلمه متعلق بالواجب والممكن والمستحيل .

يقول القشيري : الحي : « **هو الله تعالى حي ، وحياته صفة من صفاته زائدة على بقائه ، فهو دائم البقاء الذي لا سبيل إلى فنائه** » .

اسم الحي القيوم ورد في القرآن خمس مرات ، ورد في البقرة في آية الكرسي ، وهي سيّدة آي القرآن ، وأعظم آية فيه ، قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

أحياناً شخص يكون ملء السمع والبصر ، شخصية فذة ، فإن سهر إلى الساعة الواحدة ليلاً غلبه النعاس وأضجعه ، فمهما كان ذكياً ومهما كان قوياً لم يعد لديه مقاومة ، فانتباهه وذكاؤه مع الإرهاق تلاشى وأخذ يكبو .

قد ترى سيارة ثمنها عشرة ملايين ، شاحنة ضخمة هَوَتْ جانباً ، بل تحطَّمَت لأنّ صاحبها نائم ، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم أما نحن بني البشر فنصف عمرنا نوم . لكن الله ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

الآية الثانية في آل عمران :

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ١ـ٢] .

في سورة طه :

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه : ١١١] .

في سورة الفرقان :

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

في غافر :

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

مات لبعضهم ابن فبكى عليه حتى عمي فقال بعضهم له : الذنب ذنبك ، لأنك أحببت حياً يموت ، ولو أحببت الحي الذي لا يموت لما وقعَت في هذا الحزن ، قال النبي الكريم ﷺ : « **لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل** » .

أنا فيما أعتقد أنّه لا يوجد رجلان على وجه الأرض أحب أحدهما الآخر حباً إلى درجة غير معقولة كحبّ أبي بكر لرسول الله ﷺ ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرجف بهم ، فقال : (**اثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) . أخرجه البخاري في صحيحه .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : خطب رسول الله ﷺ الناس ، وقال : (**إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك**

العبد ما عند الله) ، قال : فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، فعجبا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير ، وكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا . فقال رسول الله ﷺ : **(إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر رضي الله عنه ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلاسد ، إلا باب أبي بكر رضي الله عنه)** . أخرجه البخاري في صحيحه .

وقال النبي ﷺ : **(إن الله عز وجل بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟)**

عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : **(لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخي وصاحبي)** . أخرجه البخاري في صحيحه .

وعن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر رضي الله عنه . قلت : ثم من ؟ قال : عمر رضي الله عنه . قال : وخشيت أن يقول عثمان رضي الله عنه . قلت ثم : أنت ؟ قال : ما أنا رجل من المسلمين . رواه البخاري في الصحيح ، ورواه أبو داود في السنة .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)** . رواه البخاري .

كل إنسان يضع كل أمله كل حبه ، يعلق كل قلبه بإنسان من

دون الله يسقط . لذلك عندما نزلت براءة السيدة عائشة من فوق سبع سموات وفرحت فرحاً شديداً ، قالت لها أمها قومي إلى رسول الله ، قالت : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله .

الله هو الموجود ، وكلما وحد الإنسان ربّه كثيراً أحبه الله كثيراً ، والمؤمن لا يعبأ بأحد ، أديب مع الناس كلهم ، يحترمهم جميعاً ، يخدمهم جميعاً أما قلبه فلا يعلقه إلا بالله ، هذا هو التوحيد ، الله يغار ، إن رأى قلبك مع غيره ، هذا الغير ضايقك بإلهام من الله من أجل أن تفك ارتباطك معه ، فلتكن ذكياً ولا تعلق قلبك إلا بالله مباشرةً ، وعامل الناس بالإحسان .

تحدثت مرةً عن بحث خطير جداً . هناك حبٌّ في الله وحب مع الله ، الحب في الله من كمال الإيمان ، فأنا أحب إخواني لأنني أحب الله أحب أخي المؤمن لأنني أحب الله ، أحب زوجتي لأنها مستقيمة لأنني أحب الله أحبها ، أما إذا أحببتها مع الله ، يعني نفذت أمرها وعصيت الله ، إذا أحببت إنساناً مع الله ، أرضيته ولم ترض الله فقد هويْت منزلقاً ، الحب مع الله عين الشرك والحب في الله من كمال التوحيد ، يجب أن تفرق بدقة بالغة بين أن تحب مع الله ، وأن تحب في الله .

محبة النبي ﷺ محبة في الله ، محبة أهل الحق محبة في الله ، محبة إخوانك في الإيمان محبة في الله ، محبة أهلك وأولادك محبة في الله ، أما إذا أطعت مخلوقاً وعصيت الخالق ، بدافع الحب ، فهذا حب مع الله وهو عين الشرك .

وبعد فالإنسان يحب من حوله ، يحب زوجته وأولاده وإخوانه ،

ثم يأتيه ملك الموت ، سيبقى في القبر وحيداً ، أشد الناس حباً له يشيعه حتى شفير القبر ، طبعاً النساء يودعنه في المنزل ، أما أولاده فوداعهم إلى شفير القبر يلقون عليه النظرة الأخيرة ، ولكن بعد أن يضع الحفار تلك الرقاقة وبعد أن يهيل التراب ، وينصرف الناس ، من بقي مع هذا الإنسان الحي الذي لا يموت ، كأن الله تعالى يقول لعبده حين ينزل القبر :

« عبدي! رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت » .

أليس من الذكاء أن تقيم علاقات طيبة مع الحي الذي لا يموت لأنك سوف تنفرد معه ولا أحد معك ؟! والأهل ينصرفون إلى طعامهم إلى شرابهم بعد حين ، وإلى نزههم ثم إلى متعهم ، بعد حين كأنك لم تكن ، الأولى أن تحب الله .

يقول لك : أنا من أجل أولادي لم أدفع زكاة مالي ، لن ينجو من عذاب الله ، ومن أجل ولد معين لم يعدل بين بقية أولاده لقي الله وهو عليه غضبان .

هل من إنسان على وجه الأرض يستأهل أن ترضيه بسخط الله ؟

أعرف آباء كثيرين من أجل بقاء المال مع الذكور يحرمون الإناث ويلقى الله وهو عليه غضبان ، فهل أولاده ينفعونه أو يدفعون عنه غضب الله عز وجل ؟!

سئل ابنٌ عاق : إلى أين تذهب ؟ قال : ذاهب لأشرب الخمر على روح والدي.. السكر على روح والده ، ترك له أبوه ثروة طائلة وحرم بناته ، فهل نفعه هذا الولد بعد الموت ؟!

لذلك ليس من مخلوق على ظهر الأرض يستأهل أن ترضيه بسخط الله . . في الأرض كلها . . أَرْضِ اللهَ ولا تعبأ بأحد .

بقي التخلّق باسم الحي ، فاحذر أن تكون مع إنسان كالميت بين يدي غاسله ، فالحذر الحذر أن تركن كلية لإنسان ما ، ولكن قال سهل بن عبد الله : « **أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير** » .

فالمؤمن إذا أعطاه ، وإذا منعه ، وإذا قربه وإذا أبعده . . يبقى متعلقاً بربه ، فعطاؤه ومنعه لخيره .

كن مع الله ترَ الله معك ... واترك الكل وحاذر طمعك
وإذا أعطاك من يمنعه ... ثم من يعطي إذا ما منعك

ليس لك إلا الله عز وجل ، فالمؤمن الصادق بين يدي الله كالميت بين يدي المغسل ، راض بقضائه ، راض بقدره راض برزقه ، راض بعطائه لك إن فرقك أو إن جمعك ، كيفما شاء فكن في يده .

كيفما شاء فكن في يده ... لك إن فرق أو إن جمعك
في الورى إن شاء خفضاً ذقته ... وإذا شاء عليهم رفعك
هذه ملة طه خذ بها ... لا تطع عنها قصوراً دفعك
وإذا ضرك لا نافع من ... دونه والضر لا إن نفعك
إنما أنت له عبد فكن ... جاعلاً في القرب منه ولعك
كلما نابك أمر ثق به ... واحترز للغير تشكو وجعك
لا تؤمل من سواه أملاً ... إنما يسقيك من قد زرعك

* * *